المقاييس والموازين والمكاييل

المقاييس :

وحدة المقاييس في البلاد الحبشية الذراع ويسمى « كند » ، والشبر ويسمى « سنكر » ، والقبضة وتسمى « كات » والاصبع وتسمى « تات ».

الموازين :

وحدة الاوزان الرطل ووزنه ٤٥٠ غراما ، والاوقية وتدعى عندهم « نوكي » ووزنها ١٣٣٣٣ غراما والليبرة وتساوي ٥٠٠ غرام وتدعى « فراسالا » وهي الوزن المتداول بين التجار .

المكاييل :

وحدة المكاييل هي « الداوولا » ومكيالها ٩٠ لتراً ولكنها تختلف باختلاف مواقع البلاد ، و « الكونا » ومكيالها ٤،٥ ليترة .

الادارة

كانت الحبشة حتى عام ١٢٥٥ م من الحكومات الاقطاعية المحضة ، فليس التنظيم العام أو التوحيد أو الانضمام ، تحت راية او لواء موحدين من الامور التي كانت تجد سبيلا الى نفوس هذه القبائل المفرقة والجماعات المشتتة . ينضم كل فريق الى أمير من أمرائهم فيسعون في خدمته ، ويتفانون في السعي إلى الغاية التي يرمي اليها ، بل قل إن الحبشة إلى عهد قريب مازالت تأخذ بنوع من الاقطاعية الضعيفة ، فترى أحد أمرائها إذا قوي ساعده واشتد متنه ، سعى في الاغارة على غيره ، وبسط سلطانه على جواره ، حتى إذا ما استكمل العدة الكافية لجمع كل الامراء تحت لوائه ، ضرب عليهم الاتاوات ، وتركهم يتصرفون في رعاياهم وجماعاتهم كما يشاؤون .

دامت هذه الحال زمناً ليس بالقصير ، لا بل دامت إلى أيامنا هذه على اختلاف في شدتها وضعفها ، تابعة في ذلك حال الرأس الاكبر ، فاذا كان قويا حق القوة ، استطاع ان يخضع بقية الامراء لمشيئته ، واذا كانت قوته لاتساعده على البقاء ، خلقت الظروف والمناسبات اميراً آخر يغير عليه ويحتل مكانه .

هذا هو النهج الذي كان الاحباش يتبعونه في إداراتهم فوحدت هذه الحرب بينهم، وجمعت كلمتهم.

لم يكن النجاشي قبل اعلان هذه الحرب كل شيء في الدولة لم يكن المسيطر على كل صغيرة وكبيرة كما هي الحال في بقية الحكومات التي تتبع الملكية المطلقة، كلا! بل إن الرؤوس (١) كانوا يشاطرونه الرأي والفعل، بل قل كانوا كل شيء من حيث الامور الداخلية يتمتعون بما كان يتمتع به رؤساء القبائل العربية قبل الاسلام، فكلمتهم نافذة، وأمرهم مطاع، وحكمهم لايراجع.

ولعل طبيعة البلاد الحبشية، مضافة إلى نفسية الاحباش وعقليتهم: نفسيتهم البدوية الرحالة، وعقليتهم الابتدائية المتأخرة، لعل كل هذا هو السر الأكبر في انتهاج هذا الطراز من الادارة، بل ولعله المنهاج الاوفق لأمة كالاحباش، لم تتسرب المدنية الحاضرة من علم وصناعه وتجارة وغيرها إلى بلادهم.

هذا ويجب ان لانسى أن الادارة في الحبشة، وإن كانت على هذا الشكل الابتدائي، إلا ان لهذه القبائل قوانين تكاد تكون موحدة — كما سنرى في فصل القضاء —، وصاحب الشأن والأمر فيها هو النجاشي، والنجاشي وحده! أما اذا سألت عن العادات والتقاليد، فان النجاشي وغير النجاشي يقف مكتوف اليدين، لايبدي ولا يعيد، ولا يستطيع

---

(١) يدعى كل أمير مقاطعة «رأسا».

أن يغير قيد شعرة منها . ومن البديهي أن العادات والتقاليد ليست من الامور التي يمكن ان يعفيها أمر امبراطوري أو قانون يصدره البرلمان او غير ذاك ، ولكنا أردنا ان نقول إن النجاشي لايستطيع أن يأمر بالغاء حفلة قومية، او مظاهرة يرى فيها الأحباش تحقيقاً لامر من أمورهم الخاصة التي نشأوا على ممارستها ، ودرجوا في عشها . أما العادات والتقاليد فشيء لايغيره إلا الزمن ، والزمن وحده !

* * *

قدمنا أن أمبراطورية الحبشة تقسم إلى عدة مقاطعات تتمتع بشبه استقلال نسبي، وكل من هذه المقاطعات يقسم إلى ألوية ، وهذه تقسم إلى أقاليم صغرى . ويدير هذه الالوية نائب والٍ يختلف لقبه باختلاف شهرة بلاده من حيث العظم والاتساع . أما الاقاليم الصغرى فيقام لها حاكم صغير يسمونه « شوم ».وهكذا تتوالى حلقات السلسلة بين رئيس ومرؤوس حتى تنتهي بالفلاح البسيط الذي يلقى على عاتقه جميع التكاليف والضرائب فيتحملها صاغراً . ونتائج هذا الحكم الفوضوي بينة في تخريب البلاد وانقراض كثير من سكان المقاطعات .

النجاشي

صفوفه — ألقابه — قصوره

قلنا إن النجاشي هو الرأس الاكبر ، الذي يفرض الجزية والاتاوات على بقية الرؤوس ، وهو - على الاعم الاغلب - أقوى رأس في البلاد الحبشية . وعلى هذا فان له حقوقاً يتمتع بها ولا يشاركه فيها أحد ، وسنرى أنها لا تتصل بحياة الشعب ، وليس لها مساس بمصالحه الكبرى بل إنها تقريباً كسائر الحقوق التي تمنح للاشخاص الذين يمثلون شخصية الامة ولا يحكمونها . من ذلك ان للنجاشي الحق بتعيين الوزراء ولكن ماهذه الوزارات ؟ إنها الى الخيال أقرب منها الى الحقيقة ، ثم إن له الحق بتولية الحكام ، ولكن ماهي درجة سلطته على الحكام ؟ إنها لا تتجاوز فرض مقدار معين من المال يؤديه هذا الحاكم إلى الرأس الاكبر. أضف إلى هذه الحقوق التي يخيل لنا أن لها مساساً بالامر والنهي، حقوقاً أخرى ينفرد بها ، وهي : منح ألقاب الشرف ، وقيادة الجيش ، وحق تعيين وارث العرش .

أما الامور التي تمس الشعب الحبشي مباشرة والتي ينفرد بها فهي: إعلان الحرب ، وعقد المعاهدات . على اننا يجب ان لا ننسى أن إعلان

الحرب لايكون إلا بالاتفاق مع بقية الرؤوس ، وأن عقد المعاهدات لايكون نافذاً بدون رضائهم .

* * *

أما ألقاب النجاشي فهي كثيرة أهمها واكثرها انتشاراً هي :

« أسد سبط يهوذا الغالب المنتخب من الرب »

« ملك ملوك اتيوبيا »

ومن القابه القديمة المعروفة بالعربية هي: « الحطى » (ومعناه الملك) و « سلطان الحبش والنيل » إلا أن هذه الالقاب قد اندثرت ولم يبق لها من أثر في هذه الايام .

اما جملة : « أسد سبط يهوذا الغالب » فانها شعار اباطرة الحبشة وتدرج في اول كل كتاب ملكي ، وهي مأخوذة من التوراة التي تشبه يهوذا أحد اولاد يعقوب (ع) وجد اليهود بالاسد وتلقبه بهذا اللقب. ولا يخفى ان يهوذا هو أبو داود وأن داود هو أبو سليمان (ع) وسليمان هذا هو رأس العائلة المالكة في الحبشة كما يدعي الاحباش . وكما سنرى في فصل خاص .

* * *

قصر النجاشي من حيث فخامته وعظمته يتناسب مع الحالة الاجتماعية السائدة في الحبشة فهو على هذا اشبه بقصور أمراء القرون الوسطى في اوروبا .

مثل لعينيك حال اوروبا في القرون الوسطى وما كانت عليه من انحطاط وجهل وما كان عليه أمراؤها من استبداد وظلم وحجاب وكتاب وخدام وغير ذلك . مثل هذا امام عينيك فانه صورة تكاد تكون قريبة مما هو عليه الاحباش في حالهم وقصور ملوكهم .

* * *

(ليكاماكواس)

في بلاط النجاشي وظيفة على غاية من الاهمية يطلق عليها « ليكاماكواس » ويجب على المرشح لهذه الوظيفة ان يكون مشابهاً للامبراطور من حيث البنية والشكل والهيأة والملامح والحركات وهذا « الليكاماكواس » عليه ان يرتدي كما يرتدي الامبراطور من حيث اللون والزركشة والاوسمة اي يجب ان لايكون هناك فارق ظاهر بينهما.

ووظيفته الوقوف وقت الحروب والاسفار قرب الامبراطور وتحت مظلته ليدفع عنه الخطر . وكثيراً مايشتبه الامر ويلتبس لا على الجند فحسب بل على المقربين والاتباع . وإذا شاء الامبراطور أن يتفقد جنده واحوال رجاله في ساحات الوغى ، استخلفه في مكانه دون ان يشعر أحد بذلك ، وذهب هادئاً مطمئناً .

صورة كاريكاتورية لجلالة الامبراطور هيلاسلاسي الاول

المقاطعات والمدن

المقاطعات

تنقسم البلاد الحبشية إلى أربع مقاطعات عظيمة وهي :

١ . — « شوا » او كووا (CHOA)

تشغل هذه المقاطعة القسم الجنوبي من هضبة « اثيوبيا العليا » وهي كائنة في جنوب الحبشة بين درجتي ٨ و ١٠ من العرض الشمالي ، ودرجتي ٣٥ و ٤٠ من الطول الشرقي ، وتتاخم من الشرق الممتلكات الفرنسية (اوبوك OBOCK) والصومال ، ومن الجنوب بلاد غالا GALLAB . قاعدتها مدينة « أديس أبابا » عاصمة الامبراطورية الحبشية .

تقسم هذه المقاطعة الى قسمين : الهضاب والسهول ، ولكن صعوبة النقل ووعورة الطرق واختلال الأمن — الذي بدأ يأخذ في التحسن — تمنع المواصلات ، ومع ذلك نجد ان فيها طريقاً تجارياً حراً يصل أديس أبابا بأوبوك ماراً بمدينة « عوس » ونهر « عوس » ونهر « عواش » وهي مقاطعة ذات إقليم معتدل وتربة خصبة وتعد من أقدم المقاطعات الاتيوبية ، دخلها النصرانية نحو عام ١٢٥٠ م فكانت آونة مستقلة وأخرى

تابعة لاثيوبيا . وفي عام ١٨٢٠ استقل فيها (سهلا ـ سيلانيه) أو (سيلاسي) وفي عام ١٨٤٩ خلفه على العرش ابنه « هه يي يو » أو « إيه له » ولكن تيود وروس أنزله عن العرش عام ١٨٥٦ وبعد عشر سنوات اعتلى ابن « إيه له » عرشها وأعلن نفسه ملكا عليها باسم « منليك الثاني ».

٢ . ـــ « تيغره » (TIGRÈ) :

تجانب هذه المقاطعة اريتريه الايطالية ، وهي عبارة عن جبال متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ٢٠٠٠م. وتبلغ مساحتها ١٦٠ الف كيلو متر مربع قاعدتها « عدوى » وأهم مدنها « أكسوم ».

تربة هذه المقاطعة خصبة جداً ، وإقليمها معتدل ، وسكانها من العرق السامي .

٣ . ـــ « كودجام » (GODJAM) :

مقاطعة جبلية واقعة في جنوب بحيرة « تانا » الغربي ، يرويها نهر « آبائي » . يبلغ ارتفاع أعلى قممها عن سطح البحر ٤١٠٠ م .هذه المقاطعة قاحلة ، خلا بعض مناطق قليلة منها ؛ إلا أن فيها كثيراً من الغابات ، وتنتج نوعاً من البن الممتاز المشهور بجودته في جميع أنحاء العالم . قاعدتها « دبر امار كوس » (DEBRA-MARKOS) يبلغ عدد سكانها ١٠ آلاف نسمة تقريباً

٤ . ـ الحرا : AMHARA

قاعدة في وسط البلاد ، وفيها تسود اللغة الامحرية .استقلت بين اعوام ١٨٣٨ ـ ١٨٥١ ـ و ١٨٦٨ ـ ١٨٧٢ ، وكانت النواة الاولى

لامبراطورية تيودوروس. قاعدتها « غوندار » (GONDAR)

المدن

أديس أبابا : ADDIS-ABABA أو ADDIS-ABEBA أو فنفيني FINFINI : مدينة حديثة ، اسست عام ١٨٩٢ على بعد ثلاث ساعات عن « أنتوتو » العاصمة القديمة . واخذت بالاتساع والنمو بصورة سريعة. وأصل تأسيسها أن الامبراطورة « تانيو » بنت قصراً في السهل الكائن على سفح الجبل ودعت قصرها هذا : « أديس أبابا » ثم اخذت حاشية الامبراطور تنتقل بالتدريج من « انتوتو » إلى المحل المذكور حتى أصبحت عاصمة البلاد ، وبعدئذ أطلق على المدينة اسم القصر الاول الذي بني فيها. وكلمة «أديس» أمحرية ، ومعناها الجديد ، وقد حرفت من لفظة « حديث » العربية ، ومعنى « ابابا » في الامحرية الزهرة فيكون ترجمة الكلمتين إلى العربية « الزهرة الحديثة » .

وهذه المدينة مبنية على هضاب ومرتفعات متعددة ، ومباني العائله الامبراطورية في احدى هذه المرتفعات ، ومباني الرؤوس واركان المملكة والامراء تقع في الذرى ايضاً ، ومن حول هذه المباني منازل حاشيتهم وخدمهم .

يبلغ عدد سكان هذه المدينة نحو ٦٠ الف نسمة تقريباً، وهي مركز تجاري مهم يربطها بساحل خليج عدن خط حديدي. وقد صدقت فيها

معاهدة عام ١٨٩٦ التي وضعت حداً للحروب بين إيطاليا والحبشة، وأرجعت حدود الاريترة الايطالية إلى ما كانت عليه عام ١٨٨٩ .

اديس عالم (العالم الحديث) :

هي مشتى الامبراطور ، تقع على بعد خمس ساعات من العاصمة ، وقد اسسها الامبراطور منليك الثاني ، وفيها قصره الذي دعاه « ألجنة » وأصلها مزارع ومراع خاصة بالامبراطور المذكور . يبلغ عدد نفوسها ٢٩ الف نسمة تقريبا .

هرر :

مدينة تتاخم الممتلكات الفرنسية والايطالية وهي دون أديس أبابا في القدر انما تماثلها في الرونق والبهاء ، فيها ثكنات للجند ، ومستشفى للمرضى ، وقصر للحاكم ، كائنة على ارتفاع ١٨٦٠ م. عن سطح البحر . وهي مدينة مقدسة عند إسلام إفريقية الشرقية ، ومركز تجاري عظيم .

عدوى :

قاعدة « التيغري » قائمة على نهر « اسام » (ASSAM) احد روافد « التكازي » يبلغ عدد سكانها ٥ آلاف نسمة ، وقد اصبحت قاعدة « التيغري » بعد ان كانت « أكسوم » قاعدتها ، تجارتها ضيقة جداً ، وفيها انتصر النجاشي « منليك الثاني » على الجنرال الايطالي « بارانييري » عام ١٨٩٦ .

اكسوم :

قاعدة « التيغري » حتى مستهل هذا العصر ، ومن بلادها الرئيسية ، ومسيحيو الاحباش يعظمونها جداً ، ويزورون معابدها المقدسة التي كانت قبلة قديسيهم ، وفيها تابوت العهد(١) ، وهي بمثابة «روما» الأحباش. فيها مستودعات مهمة ، وتجارة واسعة للعاج . يبلغ عدد سكانها ٥ آلاف نسمة تقريبا .

غوندار :

قاعدة أمحرا ، تبعد ٤٠ ك. م. عن شمال بحيرة (دامبه آ) يقرب عدد نفوسها من ٤ آلاف نسمة ، أسست عام ١٦٤٠ . وكانت حتى أواخر القرن الثامن عشر مركز أباطرة الحبشة ، وقد ابتنى البرتقاليون لهؤلاء الاباطرة قصراً عظيما جداً ، وكان عدد نفوس غوندار حينئذ يبلغ ٤٠ الف نسمة . قد ضمها تيو دوروس عام ١٨٦٨ إلى الحبشة ، وتقسم إلى قسمين : القسم الاسلامي والقسم المسيحي ، واصبحت عاصمة الملك عام ١٦٥٠ بعد ان كانت معسكراً لجنود الملك واضحت في برهة قصيرة من الزمن مركزاً لرؤساء الدين .

---

(١) تابوت العهد : صندوق من خشب الاكاسيا ، مصفح من الداخل والخارج بالذهب الابريز ، طوله ذراعان ونصف ذراع ، وعرضه ذراع ونصف ذراع ، وكذلك ارتفاعه . وكان اليهود يعتبرون هذا التابوت مقدسا وكانوا يحملونه في الاحتفال امامهم وهم مسافرون الى ارض الميعاد . ويقول الاحباش انهم نقلوه في عهد سليمان ابن داود.

طرق المواصلات

ليس في الحبشة طرق معبدة خلا النزر اليسير . واضطراب جبل الأمن في أكثر الانحاء يعرقل سير التجارة ويقلل من اهميتها، وقد كانت التجارة فيما سبق تقوم على قوافل منتظمة على اربعة طرق رئيسية يديرها جماعات من عرب الجزيرة وعرب سورية . وقد قلت أهمية هذه الطرق بعد إنشاء الخط الحديدي بين أديس ابابا و جيبوتي.

١ . — تبتدىء هذه الطريق من « غامبالا » وتنتهي في السودان المصري فالخرطوم ، فبور سودان . ونفقات هذه الطريق عظيمة جدا مما قلل من أهميتها.

٢ . — وتمر من بلاد الصومال الى مرافئ المحيط الهندي الصغرى كمرفأي « مكديشو » و « براوا » وهذه الطريق أقل سلوكا من سابقتها .

٣ . — وهي تمتد من أديس أبابا إلى مصوع على ساحل البحر الاحمر ، وتمر بـ « هرر » .

٤ . — السكة الحديدية : أسست هذه السكة عام ١٨٩٦ م وبدأت

من « جيبوتي » حتى وصلت إلى أديس أبابا ، قامت على انشائها شركة إفرنسية محضة يمر عليها القطار مرتين في الاسبوع ولا يسير الا نهارا ويقطع المسافة بين جيبوتي وأديس أبابا البالغ طولها ٧٤٠ كيلو متراً في ستة ايام .

السكان

معظم الأحباش رحل يعيشون على الحالة الابتدائية لا تستقر لهم قدم في مكان ولا يهنأون بغير التنقل . وإذا استثنيت بعض سكان المدن تجد ان الحبشي أشبه شيء بعربي البادية من حيث التنقل وعدم الاستقرار . لهذا كان من العسير إيجاد إحصاء يلامس الصحة أو يقرب منها ، ولا سيما وأن الاحصاآت في بلاد العالم المتمدين تقريبية ، فكيف بها في بلاد كبلاد الحبشة ؟

اختلف الجغرافيون ومن بحثوا في عدد نفوس الحبشة اختلافا بيناً :

فمنهم من قال إن مجموع السكان يقرب من ٨ ملايين ، ومنهم من يوصلهم إلى ١٢ مليونا .

والذي تبين لنا بعد مطالعة المصادر الحديثة المختلفة ان سكان الحبشة يتراوح عددهم بين ١١ ـ ١٢ مليونا موزعون بصور غير نسبية تختلف باختلاف المناطق وارتفاعها عن سطح البحر : فسكان سهول « الكالا » (KALLA) الحارة قليلون بنسبة عشائر الصيادين التي تعيش في الغابات . وهؤلاء هم اشد الاحباش قوة وبأساً خلافا لما كان شائعاً قبلا بأن هاتين الصفتين من ميزات الدناقيل والصوماليين .

منظر مدينة « أديس أبابا » مأخوذ من الطيارة

وقد اختلف الرواة في امر معرفة ديانة الحبشان كما اختلفوا في امر عددهم . فمنهم من يقول إن الاثني عشر مليون نفس الموزعة في ارض الحبشة تدين منها ثمانية ملايين بالاسلام وثلاثة بالمسيحية ومليون واحد باليهودية والوثنية . فاذا كان هذا صحيحا ، فكيف يكون الملك بأيدي المسيحيين ، وكيف نرى مسلمي الحبشة مغمورين في جميع مرافق الحياة ، وكيف تأبى الشعب على النجاشي الذي اعتنق الاسلام ودان به وارغمته الامة على تغيير دينه الجديد؟ وإذا علمنا ان جل مسيحيي الاحباش من اتباع الكنيسة القبطية ، فكيف نعلل النزاع الذي قام بين الشعب والنجاشي الذي تبع الكنيسة الكاثوليكية بتأثير مبشري اليسوعيين ؟

لذلك نرى ان سكان الحبشة يدينون بالمسيحية والاسلامية واليهودية وبعضهم مازال على الوثنية على النسب الآتية :

٤٥٠٠٠٠٠ من المسيحيين الارثوذكس من اتباع الكنيسة القبطية ، رئيس مذهبهم يعينه بطريق الاقباط . عقائدهم تشبه عقائد الاقباط ولكنها تزيد بعض عقائد يهودية ووثنية .

٣٠٠٠٠٠٠ من المسلمين السنيين ، احناف وشافعية

٣٥٠٠٠٠٠ وثنيون

٥٠٠٠٠ يهود

٤٠٠٠٠ كاثوليك

٥٠٠٠ الاتحاد اللاتيني

الدين

يدين الاحباش — كما رأينا في بحث السكان — بالديانات السماوية الثلاث : اليهودية ، والمسيحية ، والاسلامية ، وما زالت بعض قبائل في الاقطار النائية على حالتها الابتدائية الاولى في العادات والاخلاق، وبقيت محافظة على وثنيتها القديمة .

١ . — اليهود :

كانت اليهودية اول دين سماوي دخل الحبشة لسبقها في الوجود ، ويقال في تاريخ انتشارها في الحبشة إن جماعات من أسباط إسرائيل دخلت الحبشة في عهد ملكة سبأ ، واتخذتها موطناً لها ومستقراً ، فاختلطت بأبناء الحبش اختلاط تصرفات ونسب :زاوجوهم وتزوجوا منهم ، حتى كاد الدم الاسرائيلي يتبدد ويزول ، لولا فئة قليلة بقيت محافظة على عرقها ودمها .

ثم حدث أن « بختنصر » ملك آشور وبابل اشتد في طغيانه وظلمه عندما خرب بيت المقدس « أورشليم » ، وكان من آثار جوره هذا أن فرت جماعات عديدة إلى مشارق الارض ومغاربها . ولجأ قسم منها الى الحبشة ، وأقام في جبال « سيمين » . ويطلق الاحباش على هذه

الفئة اسم « الفلاشا » أي المنفيين .

وقد تهود الاحباش فيما بعد واشتد متنهم في طول البلاد وعرضها ، وكثر عظماؤهم ، ولا سيما وأنهم اعتلوا عرش الحبشة بين القرنين التاسع والثاني عشر . وكان هذا آخر العهد بنفوذهم وسيطرتهم لابل إن اليهودية بعد القرن الثاني عشر اكتفهر لها وجه الحبشة، واخذت النصرانية تزاحمها لتحل محلها ، وقد كتب لها ذلك ، فكان ان تقلص ظل اليهودية، وانكمش اليهود انفسهم إلى مقاطعة « سيمين » منفردين منعزلين محافظين على طقوسهم وعاداتهم وعقائدهم الخاصة بهم . ولا تزال بقية الاسرة المالكة التي حكمت الحبشة باقية إلى اليوم تحكم مقاطعة « سيمين» المذكورة .

واليهود الاحباش يتكلمون بلهجة خاصة بهم ، تدعى « آغاوو » (AGAOU) وهم ذوو حذق ومهارة في الصناعة والتجارة ، منهم فئة قليلة تتعاطى مختلف الصناعات النفسية التي تتطلب ذوقاً ومهارة فائقين ، وغالبهم يتعاطى مهنة الصرافة شأن اليهود في العالم اجمع .

٢ . = النصارى :

دخلت المسيحية الحبشة عام ٣١٦ م حيث جاءها اقباط من مصر ونشروا فيها المذهب الارثوذكسي ، وما زالت منذ ذلك التاريخ تنمو وتتسع رويداً رويداً الى ان اصبحت ديانة معظم الاحباش .

ومنذ اعتناق الحبشان المسيحية وتدينهم بها بقوا محافظين على

مذهبهم « القبطي » إلى يومنا هذا . فهم موحدون يقولون بطبيعة واحدة للمسيح ورئيسهم الروحي الاعلى يسميه بطريق الاقباط في الاسكندرية وهو رئيس الكنيسة الحبشية الاعلى يتمتع بنفوذ ديني عظيم وسلطان واسع وهو بمثابة « بابا » الحبشان .

الرئيس الروحاني الاكبر في الحبشة نفسها هو المطران القبطي . ويلقبونه بـ « ابونا » ويأتي بعده في الدرجة الثانية قسيس يسمونه « اسمه غيبه » وهو مكلف بالمحافظة على قواعد الدين والطقوس الكنسية ومعاقبة القسس الذين يأتون امراً يخالف الطقوس

اما الرئيس الديني الثالث فهو كاهن مدينة « اكسوم » عاصمة الحبشة القديمة ويسمى « نيرابيت » . وتقضي التقاليد الحبشية بانه اذا وقعت الحرب ان يكون « النيرابيت » في مقدمة الجيوش يباركها قبل الهجوم ويصلي من اجلها طول مدة اشتباكها بالقتال حاملا تابوت العهد الذي يعتقد الاحباش انه تابوت عهد الرب الذي جاء به ابن الملكة بلقيس من هيكل سليمان بن داود . وهو ايضا الشخص الوحيد الذي يحق له تتويج النجاشي اذ بدون وجوده او موافقته لا يمكن مبايعة الامبراطور والمناداة به ملكا على ملوك الحبشة . ومما يذكر في هذا المقام انه عندما توج الامبراطور « هيلا سلاسي » كان النيرابيت غائباً فتقدم مطران الكاثوليك ليضع التاج على رأسه الا ان الامبراطورة ابت عليه ذلك محافظة على الطقوس والتقاليد وتوجت زوجها بيدها !

يسمح لرجال الدين في الحبشة ان يتزوجوا مرة واحدة في العمر فاذا ماتت زوج احدهم حرم عليه ان يتزوج ثانية .

ومن درجات رجال الدين في الحبشة درجة تسمى «اليكاس» (ALIKAS) او رئيس المعقل والمعاقل تدعى «غيدّام» (GUEDDAM) وهي عبارة عن بلاد مقدسة — كمدينة اكسوم مثلا — فان الناس يحترمونها في الحروب الاهلية على مختلف نزعاتهم وميولهم واهوائهم . ورئيس المعقل هو حاكم تلك البلدة المقدسة فيها يحق الحق وينصر الضعيف وينتصر للمظلوم .

يتمتع رجال الدين في الحبشة بنفوذ عظيم وينسب بعض الاحباش اليهم المعجزات والكرامات لذلك نرى ان الاقبال على الانتساب إلى السلك الديني عظيم جداً في الحبشة إذ نرى ان ابن القسيس يصبح قسيساً على الغالب . ويبلغ عدد رجال الدين المسيحيين فقط في الحبشة ١٠ آلاف راهب وقسيس يمتلكون ثلث اراضيها .

يترهب النساء في الحبشة ويبقين عزبات طوال عمرهن يكرسن انفسهن للعبادة فقط ولا يقيمن في الاديرة والكنائس بل يترهبن في بيوتهن .

***

البيع(١) والاديرة منتشرة في الحبشة كثيرا الا ان اشكالها وهيآتها وطرز بنائها مازال على الحالة الابتدائية الاولى خلا بعض كنائس واديرة

---

(١) اشتهر على الالسنه ان الكنيسة للنصارى والبيعة لليهود مع أن الصواب العكس (راجع فقه اللغة للثعالبي)

قائمة في المدن الكبيرة والمقاطعات المقدسة . على ان كثيرا من الحبشان ينحت من الجبال كنائس واديرة .

وقد كانت نواقيس هذه الكنائس على الاطلاق الى عهد قريب تصنع من الحجارة اذ كان يشد حجران الى حبلين فاذا ماالتقيا احدث اصطدامهما صوت الناقوس . اما اليوم فانهم استعاضوا عنها في بعض الكنائس الكبيرة بالنواقيس المعتادة .

٣ . - الاسلام :

يرجع تاريخ دخول الاسلام الحبشة الى الايام الاولى التي ظهر فيها الاسلام ناشرا نوره هدى للعالمين ورحمة (١) .الا ان الاسلام لم يأخذ في السعة والانتشار الا منذ عهد ليس بالبعيد فقد نشره « الجبرتيون » - حتى ان المسلم في الحبشة يدعى « جبرتي »، ويقال ان الجبرتي المؤرخ المصري الشهير ينتمي الى الحبشان بسبب قوي واصله من « ارغوبة » وهؤلاء الجبرتيون هم الذين يسكنون «جبرة» وما يجاورها او النسبة اليها « جبرتي ».ذكر المقريزي في خططه ما مؤداه : ان المسلمين نزلوا فيها بادىء امرهم ونشروا لواء الاسلام فيها عاليا،فانضم اليهم الاحباش واعتنقوا الاسلام لما رأوا فيه من سهولة وبساطة ويسر،ثم اخذ الاحباش انفسهم الذين اعتنقوا الاسلام يبثون الدعوة ويسعون في سبيلها .

---

(١) راجع تفصيل ذلك في فصل « علاقة العرب بالحبشة بعد الاسلام » .

وما زال الاسلام يتسع وينتشر في الحبشة من نفسه دون ان يكون هناك مبشرون من المسلمين . ونعني بالمبشرين هذه الطائفة التي تعضدها الحكومات او الجماعات او تؤازرها بالمؤيدات المادية او المعنوية على الاقل. وهؤلاء الافراد الذين انتشروا في الحبشة والذين اخذوا يسعون لاعلاء راية الاسلام هم الذين كانوا يقفون في وجه غارات المبشرين المسيحيين. اضف الى هذا ان الدين الاسلامي دخيل وان الدين النصراني اصيل ؛ ولا يخفى مافي نزاع القديم من صعوبة وما في ادخال الجديد من مشقة . وكل مايذكره بعض متعصبي المؤرخين من ان الاسلام دخل الحبشة ، وامامه السيف ، او غير ذلك من الاقوال التي يدفع اولها آخرها، ويناقض ظاهرها باطنها ـ كل هذا لايثبت امام الروايات الصحيحة والمآخذ الموثوقة التي اجمعت على ان الاسلام لافي الحبشة فحسب ، بل في كل الاصقاع التي انتشر فيها ـ لولم يصادف من نفوس معتنقيه هوى ، ولو لم يكن له هذا السلطان الادبي على النفوس ، لما كتب له هذا الذيوع والانتشار وهؤلاء الانصار من مختلف الامم والطبقات .

ولعل هؤلاء المتعصبين يذكرون ان «لافييت» احد قواد الثورة الفرنسية واحد الذين اشتركوا اشتراكا فعليا اساسيا في وضع حقوق الانسان ، لم يسعه ـ بعد ان اطلع على التعاليم الاسلامية ـ الا ان يقول في الرسول العربي (ص) :«ايها العربي العظيم ! لقد فهمت معنى الحرية والانسانية حق الفهم ! »

أما ماينسب إلى عامة المسلمين وأوزاعهم من الفظائع وتخريب البيوت وتقتيل الأنفس فهذا امر إذا صح وإذا قيس فيه المسلمون إلى غيرهم من الامم كانوا فيه من العادلين وكان غيرهم من الظالمين ، وهذا مادعا « غوستاف لوبون » الى ان يقول : « ماعرف التاريخ فاتحاً ارحم من العرب ! »

***

المسلمون في الحبشة منتشرون في مختلف نواحيها واقطارها ، إلا أن كثرتهم الغالبة توجد على سواحل البحر الاحمر وخليج عدن وجزيرة « دهلك » مما يتاخم شبه الجزيرة العربية . وهذه الاقاليم أصبحت اليوم تحت الاستعمار الاوروبي ؛ تقاسمتها كل من انكلترا او إيطاليا وفرنسا .

أما المسلمون في الحبشة — حسب وضعها السياسي الحاضر — فانهم يكثرون في جهات « هرر » وما يتاخمها من المقاطعات حتى إن الاربعين ألفاً من سكان هرر لايوجد بينهم إلا خمسة آلاف فقط من غير المسلمين أحباشا كانوا او غرباء ، كالروم والارمن والاوروبيين ...

ومسلمو الحبشة يحترفون التجارة والصناعة متمسكون بعقائدهم الدينية تمام التمسك خلا بعض طبائع وعادات تسربت إليهم وأثرت فيهم ليست من الدين في شيء مما ستطالعه في فصل العادات والاخلاق . وهم — على

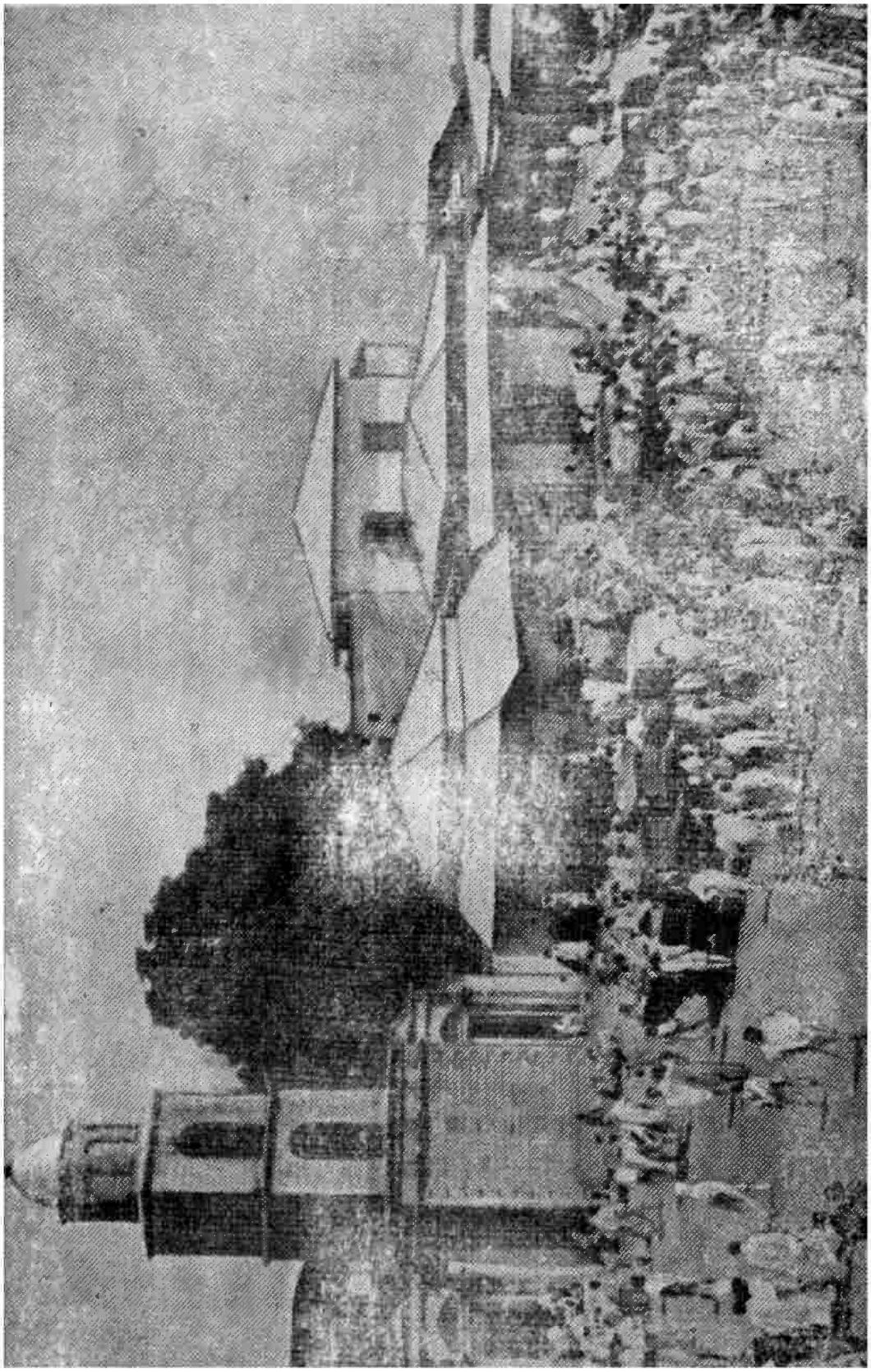

منظر مدينة « هرر » احدى مدن الحبشة الكبرى

الاطلاق سنيون على مذهب ابي حنيفة النعمان ونزر يسير على مذهب الامام الشافعي . واكثرهم ينتمي للطريقة القادرية ، وبعضهم للطريقة الشاذلية ، واسم عبد القادر الجيلاني كثير التردد في الاناشيد التي ينشدها المتصوفة من مسلمي الاحباش .

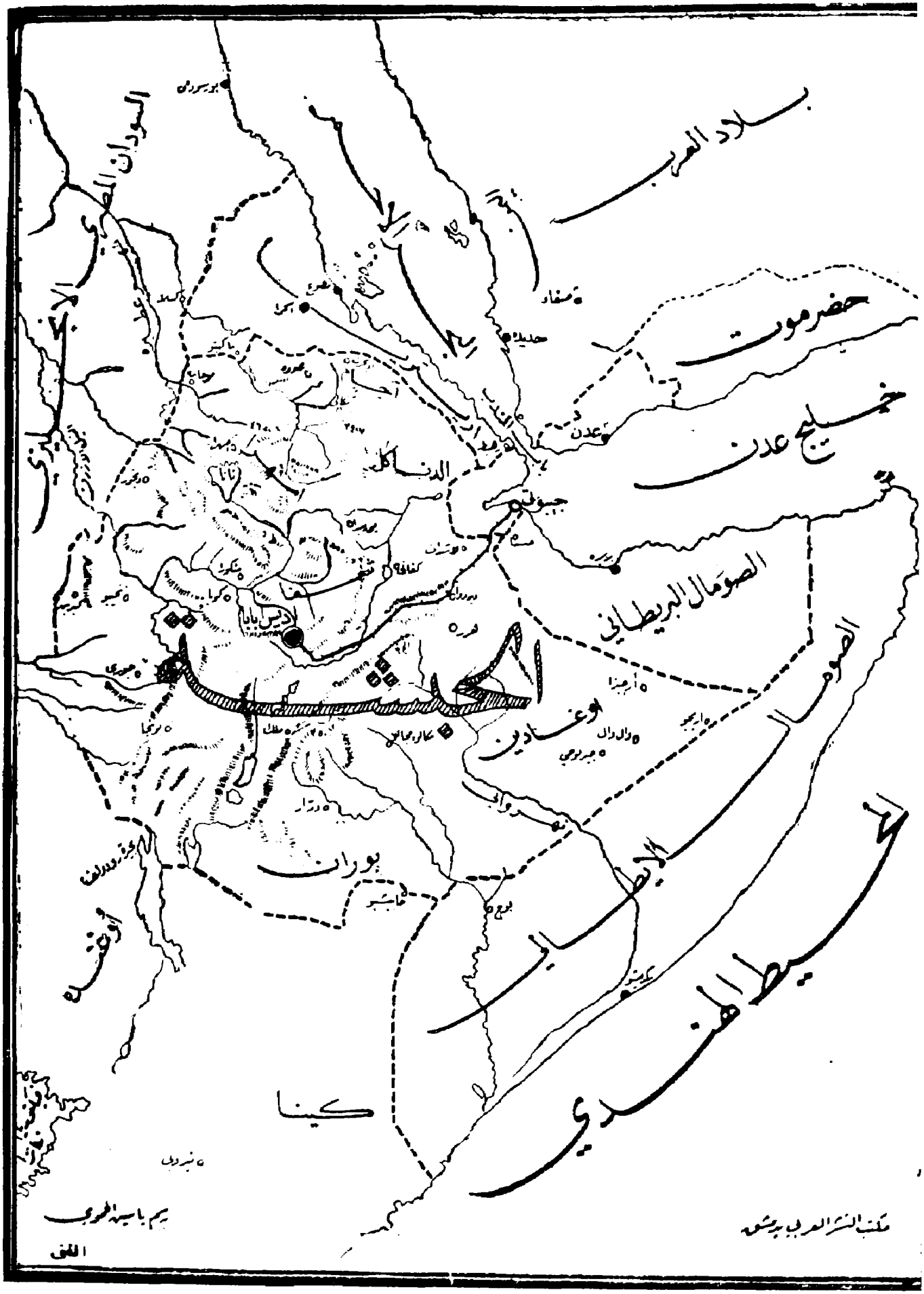
بلاد العرب
السودان المصري
الحبشة
حضرموت
خليج عدن
الصومال البريطاني
الصومال الايطالي
المحيط الهندي
كينا
بوران
اوغادين
الدناكل
اديس ابابا
عدن
زيلع
بربرة
ممباسة
اللغ
مكتب النشر العربي بدمشق

شعار الحبشة

أسبط يهوذا الغالب المرسل من الرب

ملك ملوك ايثوبيا

القضاء

كان القضاء في الحبشة الى اواخر القرن التاسع عشر اقرب الى الفوضى منه الى التنظيم مع ان الامم لا تعد امة بالمعنى الاتم اذا كان قضاؤها غير مصون فما بالك والفوضى ترين عليه ! فحل المنازعات كيفي والرشوة لها المفعول الاكبر في ربح الدعوى او خسارتها والاحكام لا تجرد - الا ماندر .. عن المصالح الذاتية . من ذلك اسطورة يرددها الاحباش ويتناقلها جيل عن جيل وهي :

قضية رفعت بين رجل وامرأة . فقدمت المرأة للقاضي جرة من عسل وقدم له الرجل بغلا فانحاز القاضي لجانب الرجل وحكم له. وعندما علمت المرأة ان الحكم صدر عن القاضي ضد مصلحتها - خلافا لما كانت تبغي - ذهبت اليه وقالت : ألم اعطك جرة عسل لتحكم بما يتوافق وصالحي؟ فأجابها القاضي بقوله : لقد مر بغل فر كل جرتك برجله فانكسرت !!!

هذا رمز لنماذج القضاء في الحبشة - إن صح او لم يصح - فانه يدلنا على مبلغ سلطان الاحكام الكيفية في فض الاختلافات امام المحاكم . على انه منذ اواخر القرن التاسع عشر اخذت المحاكم النظامية تحتل مكانها وتأخذ دورها بفضل النجاشي منليك الثاني المصلح العظيم .

كان يرجع في حسم المنازعات قبل منليك الثاني إلى إحدى طرق ثلاث :

١ . المحاكم الاهلية،

٢ . المحاكم الدينية،

٣ . المحاكم النظامية.

اما الاولى فلم تكن محاكم بالمعنى الأتم ولكنها على كل حال تعمل عمل المحاكم، ويقضي بين الناس فيها الرؤوس والامراء وشيوخ القرى والمتنفذون والوجهاء من السكان . وقوانينها كيفية بحته.

اما المحاكم الدينية فانه يرجع في امر التقاضي فيها الى القيود الكنسية.

اما النوع الثالث، وهو المحاكم النظامية، فانه لا يعرف الا في العاصمة ولا يعرض على محكمته إلا القضايا المهمة . ويرجع في احكامها على الغالب إلى طريقتي « الارش » و « الدية » .

وسع منليك الثاني صلاحية هذه المحاكم وقلل من نفوذ المحاكم الباقية ومزج بين انواعها ، وأصبح يفصل في هذه المحاكم بين أنواع الجرم الثلاثة : الجناية والجنحة والمخالفة . وأخذت القوانين الاصلية والشكلية شكلا يكاد يكون ثابتاً مستقراً .

الحكم في القضايا الكبرى من اختصاص المحكمة الكبرى وهي تؤلف من الامبراطور او رئيس الكنيسة الحبشية الأعلى ومن ٢٤ قاضيا يجلسون عن يمين وشمال الرئيس ، وتفتتح جلساتها في أيام مخصوصة من الساعة

التاسعة مساء إلى شروق الشمس ، ويقف المتهمون على بعد ٣٠٠ متر ، ثم ينادي المدعي بصوت عال قائلا : « جاهوه ! جاهوه ! » سبع مرات متواليات (يعني ياحضرة الامبراطور !) ويتوسط بين المحكمة والمتهمين قاض يلقب بـ « أفا نغوس » وبعد سماع أقوال المتهمين يصدر الحكم في الحال وينفذ فوراً . أما إذا كانت من القضايا المهمة ، فان الامر فيها لايخلو من أخذ ورد على الصورة الآتية :

يقوم أحد الشيوخ الطاعنين في السن الجالسين عن يمين الامبراطور ويبدي رأيه في القضية ، ثم يقوم آخر من الجالسين على شماله ، ثم ثالث عن يمينه وهكذا دواليك حتى تسمع آراء جميع القضاة . ثم يصدر الحكم الذي يبلغه « أفا نغوس » لاصحاب الدعوى .

القانون الحبشي :

القانون الحبشي المعمول به يسمى « فتانغوست » (FITA-NEGUST) وهو على قسمين :

أولهما : ترجمة دينة لشريعة « جوستنيان » ممزوجة بطقوس وتعاليم إسرائيلية وقبطية ، اعتمد عليها في العبادات .

وثانيهما : اقتباس من قسم المعاملات من المذهب الشافعي ؛ وخصوصاً

كتاب « التنبيه » لأبي إسحق الشيرازي(١)اعتمد عليه في المعاملات .

وقد وضع هذا القانون بشطرية ـــ العبادات والمعاملات ـــ أحد أقباط مصر المدعو « الاسعد بن عسال » بأمر من النجاشي في القرن الثالث عشر الميلادي ، وأصبح بعد وضعه القانون المعمل به صورياً في جميع أنحاء الحبشة ، بعد ان كانت الاحكام كيفية كما رأينا .

وكلمة « فتا » أمحريه محرفة عن العربية ومعناها « فتاوى » و« نيغوست » معناها « النجاشي » ، فيكون معنى الكلمتين « فتاوى النجاشي . »

رسوم القضاء :

ليست الرسوم التي يكلف المتقاضون بدفعها أو بتسليفها للخزينة

---

(١) الشيخ الامام اسحق ابراهيم بن علي الشيرازي الفيروزبادي الشافعي الملقب بجمال الدين (٣٩٣ ـ ٤٧٦ هـ) ولد بفيروزباد ثم دخل شيراز وقرأ الفقه على ابي عبد الله البيضاوي وغيره ، ثم دخل البصرة وقرأ بها على الجزري ثم دخل بغداد سنة ٤١٥ وصحب القاضي أبا الطيب الطبري كثيراً وانتفع به وناب عنه في مجلسه ورتبه معيداً في حلقته وصار إمام وقته ببغداد . ولما بنى نظام الملك مدرسة ببغداد سأله ان يتولاها ، فلم يفعل فولاها لأبي النصر بن الصباغ صاحب الشامل مدة يسيرة . ثم اجاب الى ذلك فتولاها ولم يزل بها الى ان مات . ذكره محب الدين بن النجار في « تاريخ بغداد » فقال فيه : امام اصحاب الشافعي ومن انتشر فضله في البلاد ومن فاق اهل زمانه بالعلم والزهد واكثر علماء الامصار من تلامذته . مصنفاته : « التنبيه » في الفقه او في فروع الشافعية من اكثر الكتب تداولا لما مدحه به النووي في تهذيبه . وقد طبع في ليدن عام ١٨٧٩ وفي مصر عام ١٣٢٩هـ. رسالة الشيرازي ، الطب الروحاني ، اللمع في اصول الفقه ، المهذب في المذهب.

ثابتة أو معينة بقوانين مخصوصة ، وإنما يعينها المدعي كيف يشاء : ذلك أنه يهدد المدعى عليه بأنه سيدفع للخزينة مبلغا قدره كذا ، فاذا ما حكم على المدعى عليه كلف بدفع أضعاف المبلغ المسلف أما إذا رأى المدعى عليه أن المدعي مبطل ، وأنه هو المحق ، فان الطريق مفتوحة أمامه لتهديد بتسليف الخزينة مثل المبلغ المقدم من المدعي او اكثر منه . وهكذا ، إلى ان تنتهي الدعوى ، فيكلف الذي يخسرها بدفع مثل المبلغ الذي قدمه خصمه ! ...

الضرائب والمكوس

الضرائب

الضرائب هي المورد الاول الذي تعتمد عليه الحكومات في تنظيم ميزانيتها وتنسيق ماليتها . ولا شك ان تنظيم الجباية يتبعه تنظيم الوزائع ، ولكن الاحباش لم يستطيعوا إلى أيامنا هذه أن يجعلوا لانفسهم قانونا عاما تجبى حسب مواده الاموال المترتبة على الافراد ، كل حسب طاقته . وقد رأينا في بحث النجاشي ان سلطته تكاد تكون اسمية محضة ، وانها لا تتعدى فرض الاتاوات على الرؤوس . فالمورد الاول الذي تنظم به ميزانية الدولة في الحبشة هو هذه الاتاوات التي تجتمع في صندوق النجاشي فيوزعها كيفما يشاء .

أما الطريقة التي يتبعها الرؤوس في الجباية والتكليف ، فانها لا تخلو من الهوى والفوضى والتشويش . فلا يدفع الموسر بطاقته ، والفقير بقدر انتاجه ، كلا ! او إنما يعتمد ـ على الغالب ـ على القوة والضعف : فمن كان من المقربين ، كانت تكاليفه نحو الرأس اقل ، ومن كان من الضعفاء او المغضوب عليهم ، كان إنتاجه وخراجه يكادان يكونان متساويين . ولقد

أسلفنا أن اكثر التكاليف تلقى على عاتق الفلاح المسكين ، فهو الذي يقنع من الحياة ببلغة تسد الرمق وخرقة تستر العورة ، ويؤدي كل مايشنج الى الراس ، والراس واعوانه يسعدون بشقائه ، وينعمون بجهده .

وعلى الرغم من هذه الطريقة الكيفية التي تكاد تكون منحصرة بين النجاشي والرؤوس ، فان العادات والأعراف تقضي بأن يجبى من المزروعات العشر ، ومن الاغنام بمعدل ٢ بالمئة من القيمه الاصلية .

تدفع الضرائب تارة من المال ، وطوراً من الشمع العسلي وآخر من الحاجيات . لذلك ترى كل يوم الوفاً من الزوارق تمخر في الترع والانهر حاملة الاكداس المكدسة من الحاصلات المذكورة ، ذاهبة بها إلى مقر أحد الرؤوس أو إلى العاصمة لتدفعها الى النجاشي نفسه .

تعفى من الضرائب والرسوم جميع الاراضي والمزارع الخاصة بالنجاشي والكنائس . وهناك مقاطعات تكاد تكون في حرب أهلية مستمرة لايستطيع الجباة ان يقربوا منها فهي معفوة بالضرورة من الضرائب والتكاليف ، خلا الأيام التي تهدأ بها القبيلتان المتنازعتان .

ويستوفى نوع من الضرائب من الباعة والتجار في المدن الكبيرة . وهذه التكاليف مجحفة بحقهم لما يسود اسواق الحبشة من الكساد : نظراً لقلة الحاجيات وتفاهتها .

المكوس

في الحبشة مصلحة للمكوس (الجمارك) ضيقه النطاق ، لها فروع في ست مدن كبيرة . ولقد كانت القوانين المعمول بها — منذ أن وضعت — مرعية ، لاتخالف ، ولا يمكن ان يطرأ عليها الخلل — خلافا لما رأينا في جباية الضرائب : فالرسوم تستوفى عن البضائع على نسب معلومة مقدرة بقوانين خاصة لايستطيع أحد من الموظفين أن يحيد عنها قيد شعرة . على أنه وإن استوفيت الرسوم قانونية إلا أن موظفي المكوس — إلى عهد ليس بالبعيد — كان يباح لهم ان يأخذوا مايشاؤون من هذه البضائع الاجنبية مايروق لهم. أضف إلى ذلك أن النجاشي نفسه كانت تعرض عليه البضائع قبل عرضها في السوق ؛ وله الحق في ان يبقي في قصره مايراه أهلا بالبقاء دون مقابل . وبقيت الحال كذلك الى عهد الامبراطور هيلاسلاسي الذي بدأ بنفسه ، فأبى ان يمد يده إلى أموال التجار وحظر على جميع الموظفين أن يستوفوا غير رواتبهم وسنت قوانين خاصة نصت عقوبة المخالف لها .

الجباة وموظفو المكوس :

من القواعد المرعية التي يؤيدها المنطق ، ويقرها العقل ، أن الجباة تصطفيهم الحكومة من الاشخاص الموثوق باخلاقهم ، المعتمد على امانتهم وتصرفاتهم ، لانهم اساس خزينة الدولة وماليتها . ولقد تمتع المسلمون

من الاحباش بهذه الثقة المهمة لدى اصحاب الحل والعقد ، فأولوهم جباية الضرائب والتكاليف في جميع المقاطعات والمدن الحبشية خلا مدينة « دوباريك » (DOBARIK) . وكذلك موظفو المكوس فكلهم من المسلمين والمراكز التي تستوفي المكوس في جميع البلاد الحبشية ستة، مديروها وموظفوها من المسلمين إلا في مدينة « دوباريك » ايضاً فان مدير هذه المصلحة فيها مسيحي .

البريد والهاتف والسلكي

البريد

أسست اول دائرة للبريد في الحبشة في عهد النجاشي منليك الثاني المصلح العظيم . وقد قام على ادارتها يوم تأسيسها مستشاره السويسري « المسيو ايلغ » ، واستمرت هذه المصلحة في الانتشار في سائر المقاطعات السياسية المهمة ، والمراكز التجارية العظيمة ، ولا سيما من أديس أبابا إلى سواحل البحر الاحمر .

كانت الفوضى تسود هذه المصلحة في بادئ امرها ، لان البرد كانت تنقل على القوافل. ومنذ ان بدأ فرع منها ينقل بواسطة السكة الحديدية الممتدة بين اديس ابابا وجيبوتي بدأت بالانتظام نوعا .

ولم يتم لها الانتظام التام إلا بعد ان اعتلى العرش النجاشي الحالي الامبراطور هيلا سلاسي الاول الذي ادخل عليها إصلاحات جمة وجعلها وطنية محضة .

الهاتف

يرجع مد اسلاك الهاتف في الحبشة إلى عهد النجاشي منليك الثاني

ايضا ، فقد اهتمت الحكومة الايطالية آنئذ بمدها بين اديس ابابا ومستعمراتها إذ عرضت الفكرة على النجاشي فوافق عليها فاعانته إيطاليا بالمال والعدة والرجال .

اهم الخطوط التلفونية في الحبشة الخط الممتد من اديس ابابا فهرر فجيبوتي . واهم الخطوط البرقية الخط الممتد بين اديس ابابا ومصوع المار بعدوة وميكالية .

وتجد على ممر الخط محطات للتلفون كل واحدة منها عبارة عن كوخ مصنوع من اغصان الشجر ، يقوم عليها موظف حبشي لديه من الوسائل الفنية ٣ عواميد وبضع امتار من الشريط وعدد ضئيل من الفناجين!

اللاسلكي

اهتمت الحكومة الايطالية منذ عهد قريب بانشاء محطة للبرق اللاسلكي خدمة لمصالحها ، كما اهتمت من قبل بمد اسلاك البرق والهاتف

وفي اديس ابابا محطة عظيمة انشأها الايطاليون وجهزوها باحدث المعدات والادوات واهدوها للحكومة الحبشية.

والحكومة اليوم تستخدمها في مصالحها لبث الدعاية في مختلف اقطار العالم .

ويشرف على هذه المحطة الامبراطور نفسه ، وكثيراً ماذاع آراءه على العالم اجمع باللغة الفرنسية داعيا إلى بلاده، منددا باعتداء الاجانب .

الجيش

الحبشان اهل طعان وضراب نظراً لطبيعة إقليمهم واراضيهم وروحيتهم الخاصة . لذلك نجد ان كل حبشي جندي مستعد للقتال في كل آن وزمان. واذا علمت ان الاحباش هم في حرب اهلية دائمة تقريبا ، لم تستغرب قوة بأس رجالهم يوم النزال.

إلا ان الاباطرة الذين تعاقبوا على عرش الحبشة منذ عهد منليك الثاني الى يومنا هذا رأوا ان الضرورة تقضي عليهم بالاخذ بكل ناحية من نواحي الحياة الاوروبية: فمنليك الثاني هذا عندما اراد في اول امره ان يأخذ باطراف المدنية الغربية، راى ان الجيش اول ماينظر اليه لما له من المكانة من حيث الدفاع عن حوزة الوطن وتوطيد الامن الداخلي. لهذا استدعى اخصائيين اوروبيين لمختلف الفروع التي ازمع على اصلاحها وكان الجيش في مقدمة هذه الاصلاحات ، فكان خبراؤه من السويسريين والفرنسيين، وبدأ بتدريب الناشئة على الطرق الحديثة ودعى هذه الفئة المدربة بـ « الحرس الامبراطوري ».

يتألف الحرس الامبراطوري اليوم حسبما تراءى لنا بعد مطالعة مختلف كتب الاحصاء: من ضباط اوروبيين ولا سيما السويديين منهم ، ومن

١٠٠ الف شاب من خيرة شباب الحبشة من حيث الصلابة والبأس مستعدين للقتال والنزال ، مدربين على احدث الطرق واكملها : فهم يرتدون الملابس العسكرية الاوروبية من القبعة الى البذلة الفرنجية . خلا النعال (فان الحبشي لم يألفها حتى اليوم ابدا فهو يفضل ان يسير حافي القدمين على ان يسير بخفين) وهؤلاء الجنود المدربون هم على هذه الحال من حيث عدم قابليتهم للبس النعال .

ويمكن ان يبلغ عدد المدربين الى الضعف عند الضرورة لان الاباطرة ساروا على عادة المناوبة الطويلة في تجنيد هذه الفرقة .

هذا من حيث الجنود النظاميون ، اما من حيث الجنود غير النظاميين فان كل حبشي على استعداد تام ليذهب إلى ساحة الوغى غير مبال بما قد سيحدث له من ظفر او تقهقر ، الا انه يعلم دائما انه هو الظافر وانه انما خلق للدفاع عن حوزة الوطن .

وعلى كل جندي غير نظامي ان يأتي معه اما بحصان او بغل او حمار ، ومن الزخيرة والزاد مايكفيه مدة شهر واحد والحكومة تعطيه الاسلحة اللازمة له بعد انضمامه للجيش . ويتقلد كل جندي علاوة على بندقيته وخراطيشه سيفا او رمحا او خنجرا او درعا لايمكنه ان يستغني عنه .

يكون الجنود غير النظاميين وقت السلم منتشرين في طول البلاد وعرضها ، اما إذا قرعت الطبول واعلن النفير فتراهم يتسابقون لمحال التجنيد لاخذ ذخائرهم وعتادهم فتراهم مستعدين لمجابهة العدو في اقل مدة ممكنة

حتى إن سرعة سوق الجنود في عام ١٨٩٥ ضد الطليان اوجب استحسان اوربا وتقديرها الجندية في الحبشة حق قدرها .

ولا يمكن معرفة الاحصاء التقريبي لعدد افراد الجيش الحبشي في ايام الحرب اذ ان كل حبشي يمكنه حمل السلاح مضطر للذهاب إلى ساحة الوغى .

***

القيادة العامة وقت الحرب تكون عادة بيد الامبراطور بصفته قائد الجيش الاعلى إلا انه ينيب عنه إما وزير الحربية أو أحد الرؤوس أو أحد القواد الماهرين الذين يعتمد عليهم في حسن القيادة. ويلي الامبراطور في المرتبة العسكرية وزير الخارجية - وغالباً يكون من أحد الرؤوس الصناديد - فسلسلة من مراتب عسكرية كما هي العادة عند الامم الاوربية حتى تصل الى الجندي الصغير .

وفي اثناء الحرب يكون الجيش على نظام حربي تام : فتجد الجيش مقسما إلى جناحين (ايمن وايسر) والى مقدمة وساقة وقلب، وعند نزول الجيش تعتبر خيمة القائد العام اساسا لترتيبات الجنود، ومن ثم يعرف كل الرؤوس والقواد موضع خيمته مقدرا المسافة وخطوط الاستقامة بالضبط فلا يحصل عند نزول المعسكر مايستوجب التشويش قطعاً . وقد كانت ترتيبات الجيش الحبشي في موقعة عدوى عام ١٨٩٦ - مضافة الى شجاعة رجاله - موقع تقدير الامم الاوروبية جمعاء .

وفي الجيش الحبشي اليوم عدة تامه من ادوات الدمار اتى فيها الاباطرة المتأخرون من اوروبا ولا سيما الامبراطور الحالي هيلا-سلاسي فانه جهز جيشه بالبنادق ، والمدافع ، والرشاشات ،والدبابات، والطيارات إلا ان هذه العتاد قليلة بالنسبه لما تتطلبه الجيوش الحبشيه .

العلم الحبشى :

العلم الحبشي كثير التقلب والتبدل خلافاً لما هي عليه الحال في سائر الامم تقريبا ؛ فكلما مرت عليه اعوام تغير وتبدل. الا انه في المدة الاخيرة حافظ على شكل واحد تياعا للاستقرار الذي اخذت فيه الحبشة في شتى نواحي الحياة . فقد كان علمها عام ١٨٨٤ مؤلفا من اربعة الوان افقيـة : الاحمر والابيض والاصفر ، والاخضر ، وكل لون من هـذه الالوان يرمز لمقاطعة من مقاطعاتها : فالاحمر رمز للتيغري ، والابيض لكودجام، والاصفر لامحرا ، والاخضر لشواه.

وفي عام ١٨٩٦ بدل هذا العلم بعلم آخر مركب من قطعتين من اللون الأحمر مفصولتين بقطعة صفراء منقوش عليها الأسد الحبشي .

وفي عام ١٨٩٨ بدل بثلاث قطع افقيـة : حمراء في الرأس، وصفراء في الوسط منقوش عليها الاسد، وخضراء في الاسفل.

ثم بدل ايضا في عام ١٩٠٠ بعلم آخر مؤلف من قطعة حمراء عمودية وقطعتين خضراء وصفراء متوازيتين .

« رؤوس » حبشية

الرأس « كاسا »

الرأس « سيوم »

الرأس « [illegible] » حبر الأبيض طور

والعلم الحالي مؤلف من ثلاث قطع أفقية كل منها تساوي الاخرى من حيث الطول والعرض ، والوانها الاخضر في الاعلى يليه الاخضر فالاحمر .

* * *

اما العلم الملوكي فهو من الحرير الابيض منقوش في وسطه شعار الحبشة ومكتوب عليه القابه ، واليك هذا الشعار :

« اسد سبط يهوذا الغالب المرسل من الرب ، ملك ملوك اثيوبيا »

يعلوه اسد متحفز يحمل الصليب بيده اليمنى.